شيءٌ من خلق النبيّ الكريم بيانا لقول الله في الذكر الحكيم:

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾

كتبه عبدالعزيز الميمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أكملُ الخلق، وأفضل الرسل، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ على هذه الأمة أنْ جعل الله نبيّها أفضل أنبياء الأمم، فإنّ الرسل والأنبياء كثيرون، صلى الله عليهم وسلّم، وكذلك الأمم.

فعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه سمع النبي يقول في قوله تعالى: {**كنتم خير أمة أخرجت للناس**}، قال: "**أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمها على الله**"، الترمذي وحسنه، مد،جه.

وقال أبو ذر: يا رسول الله، كم وفّى عدة الأنبياء؟

قال: "**مئة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك: ثلاث مئة وخمسة عشر جمّا غفيرا**"، رواه أحمد.

فهذه نعمة عظيمة أن تكون أمتنا أفضل الأمم ونبيّنا أفضل الأنبياء، ولذا قال ربّنا: {**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم**}، والمنّة النعمة العظيمة.

والله عز وجل قد أمرنا بشكر النعم، وأمرنا بالإيمان بالنبي والشهادة له.

والإيمان بالشيء لا يكون إلا بمعرفة أوصافه.

فهذا سبب من الأسباب التي تجعلنا نتعلّم من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم.

والسبب الثاني: أنّ ذلك من دلائل صدق نبوته.

فإنّ النبوة لا يدعيها إلا: أصدق الناس وأفضلهم، أو أفجر الناس وأكذبهم، ولا يخفى على أدنى الناس أنْ يفرّقوا بين هذين الشخصين.

كما قال تعالى: {**فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء**}.

ولذلك بعث الله الرسلَ وأقوامُهم يعرفونهم ويعرفون فضلهم قبل البعثة، {**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا**}.

وكذلك بعث اللهُ محمدًا وقومُه يعرفونه ويعرفون كرمه وصدقه وأمانته، فقد كان يسمّى: الصادق الأمين، {**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**}.

وقال: {**قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون*فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته**}.

ولذلك استعمل النبي هذا البرهان في بداية دعوته.

فعن ابن عباس: لَمَّا نزلتْ: {**وأنذِرْ عَشيرَتَك الأقرَبينَ**} صعد النَّبيُّ على الصَّفا، فجَعل يُنادي: (**يا بَني فِهرٍ، يا بَني عَديّ**)-لبُطونِ قُرَيشٍ-حتَّى اجتَمَعوا، فجَعَلَ الرَّجُلُ إذا لم يَستَطِعْ أن يَخرُجَ؛ أرسَلَ رَسولًا ليَنظُرَ ما هو، فجاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيشٌ.

فقال: (**أرَأيتَكُم لو أخبَرتُكُم أنَّ خَيلًا بالوادي تُريدُ أن تُغيرَ عليكم، أكُنتُم مُصَدِّقيَّ**؟) قالوا: **نَعَم، ما جَرَّبنا عليك إلَّا صِدقًا.**

قال: (**فإنِّي نَذيرٌ لَكُم بينَ يَدَي عَذابٍ شَديدٍ**)، فقال أبو لَهَبٍ: **تَبًّا لك سائِرَ اليَومِ، ألِهذا جَمَعتَنا؟!** فنَزَلَت: {**تَبَّت يَدا أبي لَهَبٍ وتَبَّ*ما أغنى عَنه مالُه وما كَسَبَ**}. فق.

فذلك برهان عظيم، فالذي لا يكذب في حديث الناس من وجود الخيل والحرب وعذابها الأدنى، فمن باب أولى ألّا يكذّب في حديث الله، وعذابه الشديد الأكبر.

ومن ذلك ما قاله قيصر لأبي سفيان رضي الله عنه قبل أن يسلم: "**وسَألْتُكَ: هل كُنتُم تَتَّهِمونَه بالكَذِبِ قَبلَ أن يَقولَ ما قال، فزَعَمتَ أن لا، فعَرَفتُ أنَّه لَم يَكُنْ ليَدَعَ الكَذِبَ على النَّاسِ ويَكذِبَ على اللهِ**"، ابن عباس، البخاري.

والسبب الثالث: أننا نتعلم من أوصافه وخلقه لنقتدي به.

كما قال تعالى: {**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**}، والنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الكمال البشري في الأخلاق فلا بشر أكمل منه في الأخلاق.

والسبب الرابع: أننا نتعلم من أوصافه وأخلاقه لنحبه ونزداد من محبته، ويكفي إنْ أحببناه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: "**المرء مع من أحب**".

والسبب الخامس: ليزداد إيماننا به، وبما جاء به.

فإنّ الناس متفاوتون في الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فأكمل الناس إيمانا بالنبي أبو بكر.

وانظر في قصة المعراج حين جاءه المشركون يلبّسون ويشبّهون.

قالوا: هل لك إلى صاحبِك يزعم أنه أُسرِيَ به الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ؟

قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم.

قال: **لئن كان قال ذلك لقد صدَقَ.**

قالوا: أو تُصَدِّقُه أنه ذهب الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ وجاء قبل أن يُصبِحَ؟

قال: **نعم إني لَأُصَدِّقُه فيما هو أبعدُ من ذلك، أُصَدِّقُه بخبرِ السماءِ في غُدُوِّه أو رَوْحِه.**

فلذلك سُمّي أبو بكر الصِّديق، رواه الحاكم وصححه الألباني.

ومن الأوصاف العظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم: أخلاقُه.

كما قال تعالى: {**وإنك لعلى خلق عظيم**}، قال مجاهد وغيره: "**لعلى دين عظيم**"، وقال عطية: "**لعلى أدب عظيم**".

وقالت عائشة رضي الله عنها: "**كان خلقه القرآن**"، وهذا الحديث حديثٌ جامعٌ لخلقه.

فإنّ القرآن بيّن أوصاف النبيّ.

وكذلك أوامر القرآن وزواجره أكمل من يقوم بذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم.

بل كلُّ خبرٍ عن مَكْرُمة من الأنبياء والرسل فإن النبي كان الأفضل في ذلك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**أنا سيّدُ ولد آدم ولا فخر**" تر، جه، مد، أبو سعيد.

وعن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**"، رواه مسلم.

ومن أوصافه وأخلاقه كما مرّ: أنه صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس.

بل كما روي عن عائشة قالت: "**كان أبغضَ الخلْق إلى النبي الكذب**".

ومن أخلاقه: أنه لم يكن ينتصر لنفسه وكان يختار اليسر والرفق دائما صلى الله عليه وسلم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "**ما خُيِّرَ رسولُ الله بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما؛ ما لم يكن إثما؛ فإن كان إثما؛ كان أبعد الناس منه.**

وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط إلا أن تُنْتهك حرمةُ الله فينتقم بها لله"، متفق عليه.

ومن أخلاقه: أنه طيّبٌ عفيفُ اللسان بأبي هو وأمي.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **لم يكن النبيُّ فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: (إنّ مِن خياركم أحسنكم أخلاقا)**، ق.

ومن أخلاقه: أنه لا يواجه أحدا بما يكره، وإن احتيج فيعرّض، وقد يعيّن للمصلحة.

فعن أنس: "**كان النبيُّ قلَّ ما يواجه رجلا في وجهه بشيء يكرهه**"، د، مد.

كذلك من أخلاقه: الحياء والعفة.

فعن أبي سعيدٍ الخُدريّ: "**كان رسولُ الله أشدَّ حياءً من العذراءِ في خِدرها، وكان إذا كَرِهَ شيئًا، عرَفْناه في وجهِه**"، فق.

ومن أخلاقه: أنه كان جوادا صلى الله عليه وسلم، حتى قبل البعثة.

قالت خديجة في بداية البعثة: "**أبشِرْ، فواللهِ لا يُخزيكَ اللهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصدُقُ الحَديثَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتقري الضَّيفَ، وتُعينُ على نَوائِبِ الحَقِّ**"، فق.

وفي ذلك من براهين النبوة والصدق وهذا من فقهها رضي الله عنها.

وعن ابن عباس: **كان رَسولُ اللهِ أجودَ النَّاسِ، وكان أجودُ ما يَكونُ في رَمَضانَ حينَ يَلقاه جِبريلُ. وكان جِبريلُ يَلقاه في كُلِّ لَيلةٍ مِن رَمَضانَ، فيُدارِسُه القُرآنَ.**

فلَرَسولُ اللهِ حينَ يَلقاه جِبريلُ أجودُ بالخَيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرسَلةِ، فق.

وفيه فضل جبريل، وأنّه جوادٌ؛ فإنّ الأخلاق تسري بين الصاحِبَين والمتجالسَين.

ومن جود النبي وحسن خلقه: أنه يقبل الهدية، وكذلك يُهدي لمن أهدى له.

فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: "**كان رسول الله يقبل الهدية، ويُثِيبُ عليها**"، خ.

لكن النبي لا تحل له الصدقة لرفعة منزلة النبوة كما قال: "**إنَّ الصَّدَقةَ لا تَنبَغي لآلِ مُحَمَّدٍ؛ إنَّما هي أوساخُ النَّاس**"، عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، م.

فالصدقة تكفّر ذنوب الشخص التي يخرجها فهي أوساخ.

وعن أنس، أنّ النبيَّ وجد تمرة، فقال: "**لولا أني أخاف أن تكون صدقة لأكلتها**"، د، فق.

وهذا من أخلاقه وورعه.

وعن أنس: ما سُئِلَ رَسولُ اللهِ على الإسلامِ شيئًا إلَّا أعطاه.

قال: فجاءه رَجُلٌ فأعطاه غَنَمًا بينَ جَبَلَينِ، فرَجَعَ إلى قَومِه، فقال: **يا قَومِ أسلِموا؛ فإنَّ مُحَمَّدًا يُعطي عَطاءً لا يَخشى الفاقةَ**، رواه مسلم.

فهذا من خلق القرآن إذ قال له: {**وأما السائل فلا تنهر**}.

ومن خلقه: أنه يجبر الخواطر، ويتواضع مع جليسه، ومع من يكلمه.

فعن أنس رضي الله عنه قال: "**كان النبي إذا استقبله الرجل فصافحه؛ لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم يُرَ مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليسٍ له**"، د، تر.

ومن أخلاقه: أنه كان أشجع الناس.

فعن أنس قال: "**كان رَسولُ اللهِ أحسَنَ النَّاسِ، وأجودَ النَّاسِ، وأشجَعَ النَّاسِ**".

قال: "**وقد فزِعَ أهلُ المَدينةِ لَيلةً سَمِعوا صَوتًا**"، قال: "**فتَلَقَّاهمُ النَّبيُّ على فرَسٍ لأبي طَلحةَ عُريٍ، وهو مُتَقَلِّدٌ سَيفَه، فقال: (لَم تُراعوا، لَم تُراعوا)، ثُمَّ قال رَسولُ اللهِ: (وجَدتُه بَحرًا)، يَعني الفَرَسَ**، فق.

وعن علي بن أبي طالب أنه قال: "**رأيتني يوم بدر ونحن نَلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأسًا**"، مد.

وعن أبي هريرة عن النبي: "**ولولا أن أشق على أُمتي ما قعدت خلف سرية، ولوَدِدت أني أُقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**"، متفق عليه.

ومن خلق النبي مع العدو: ما ثبت عن ابن مسعود قال: **كَأَنِّي أنظُرُ إلى النَّبيِّ يَحكي نَبيًّا مِنَ الأنبياءِ ضَرَبَه قَومُه فأدمَوه، وهو يَمسَحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقولُ: اللهُمَّ اغفِرْ لقَومي؛ فإنَّهم لا يَعلَمونَ**، متفق عليه.

كذلك حين آذوه أهل الطائف فلم ينتصر لنفسه وبعث الله إليه ملكا لو شاء أن يطبق الجبل عليهم لأطبق، لكنه قال: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**، فق.

فعن عائِشةَ، أنَّها قالت للنَّبيِّ: **(هل أتى عليك يومٌ كان أشَدَّ مِن يومِ أحُدٍ؟).**

قال: **"لقد لَقِيتُ مِن قومِك ما لقيتُ، وكان أشَدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبةِ؛ إذ عرضْتُ نَفسي على ابنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عَبدِ كُلالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أردْتُ.**

فانطلقْتُ وأنا مهمومٌ على وَجهي، فلم أستفِقْ إلَّا وأنا بقَرنِ الثَّعالِبِ.

فرفعْتُ رأسي فإذا أنا بسَحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرْتُ فإذا فيها جِبريلُ، فناداني، فقال: (إنَّ اللهَ قد سمِع قولَ قومِك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعَث اللهُ إليك ملَكَ الجِبالِ لتأمُرَه بما شئْتَ فيهم).

فناداني ملَكُ الجِبالِ، فسلَّم عليَّ، ثُمَّ قال: (يا مُحمَّدُ)، فقال: (ذلك فيما شئْتَ، إن شئْتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشَبَينِ).

فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يعبُدُ اللهَ وَحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا"**، فق.

بل عندما قيل له ادع على المشركين قال: **"إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة"**، رواه مسلم.

كما قال تعالى: {**وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين**}.

كذلك من خلقه العظيم: خلقه مع المذنبين الذين ابتلاهم الله.

فعندما أتي له برجل قد شرب الخمر، فقال بعض القوم: أخزاك الله! قال النبي: **(لا تقولوا هكذا! لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه)**، رواه أبو داود.

كذلك من خلقه العظيم خلقه مع الصغار والأطفال، فقد كان أرحم الناس بهم.

فعن أنس قال: **"ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله"**، رواه مسلم.

وعن عائشة قالت: **"كان النبيُّ يُؤتى بالصبيان فيدعو لهم"**، خ، م.

ومن ذلك: أنه كان يسلم عليهم، ويحترمهم ويكلمهم ويعلمهم.

فعن أنس: "**كان النبيُّ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخٌ يقال له: (أبو عمير)**، قال: أحسبه فطيمٌ، **وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير، ما فعل النُّغير؟**"، متفق عليه.

وعند ابن حبان: "**كان رسول الله يخالطنا كثيراً**".

وعن شعبة، عن سيّار، قال: كنت أمشي مع ثابت البناني، فمرّ بصبيان فسلم عليهم.

وحدّث ثابت أنه كان يمشي مع أنسٍ، فمرّ بصبيان فسلم عليهم.

وحدّث أنس أنه **كان يمشي مع رسول الله فمرّ بصبيان فسلّم عليهم**، متفق عليه واللفظ لمسلم.

وعَنْ أَنَسٍ قال: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ وَنَحْنُ نَلْعَبُ، فَقَالَ: "**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا صِبْيَانُ**"، مد.

ومن أخلاق النبي مع الصغار ورحمته بهم: تعليمهم عند الخطأ.

فعن عمر بن أبي سلَمة: كنت غلاماً في حِجر رسول الله وكانت يدي تطيشُ في الصَّحْفة، فقال لي رسول الله: "**يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك**"، فما زالت تلك طِعمتي بعد، متفق عليه.

وقال لابن عباس حين كان غلاما: "**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك**".

وكذلك كان يرحم الصغيرات.

فقد مرَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بحيِّ بني النجارِ وإذا جَوَارٍ يضربْنَ بالدُّفِّ يقلنَ نحنُ جَوَارٍ من بني النجارِ يا حبَّذا محمدٌ من جارٍ فقال النبيُّ: **اللهُ يعلمُ أنَّ قلبي يُحبُّكنَّ**، رواه ابن ماجه.

ومن أخلاقه الحسنة: خلقه مع النساء، بل أوصى بهنّ.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**استوصوا بالنساء خيرا**"، أبو هريرة، فق.

وقال: "**اللهمّ إنّي أُحَرِّج حقّ الضعيفين، اليتيم والمرأة**"، أبو هر، مد،جه.

ومن خلقه العظيم مع الناس والنساء والصغار: أنّه كان يخفف الصلاة حين يسمع بكاء الصبي شفقة بأمه، كما قال صلى الله عليه وسلم: "**إنّي لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي، مما أعلم من شدّة وجْد أمّه من بكائه**"، أنس، فق.

كذلك خلقه عظيمٌ مع أهل بيته.

قال: "**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**"، عائشة، تر.

وكان يخدم نفسه ويعين أهله ويقوم على بيوته، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: ما كان رسول الله يعمل في بيته؟

قالت: "**كان يَخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم**"، رواه أحمد بهذا اللفظ.

وعن إبراهيم، عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي يصنع في بيته؟

قالت: "**كان يكون في مهنة أهله**-تعني خدمة أهله-**، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**"، رواه البخاري.

وكان يجلس معهم بل ويلاطفهم فقد كان ينادي أمنا: **يا عائش ويا ابنة الصديق.**

كذلك قصته مشهورة حين تسابق معها رضي الله عنها.

كذلك من أخلاقه ما ثبت عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: "**ما عاب رسول الله طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه**"، فق.

فهذا الخُلق عظيم، فيه مراعاةٌ لمشاعر أهل البيت والخادم ونحو ذلك.

فالنبي يجبر الخواطر ويراعيها، صلى الله عليه وسلم.

بل كان يقضي حوائج الناس ولو كانت مرتبتهم في المجتمع لا يُلتفت لها من الناس.

فعن أنس: "**إنْ كانَتِ الأَمَةُ مِن إماءِ أهلِ المَدينةِ لَتَأخُذُ بيَدِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فتَنطَلِقُ به حَيثُ شاءَت**"، رواه البخاري معلقا.

ومن خلقه العظيم خلقه مع الخادم.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **خَدَمْتُ رسول الله عَشْرَ سِنِينَ، واللهِ ما قال لِي أُفًّا قَطُّ، ولا قال لي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟** ، رواه مسلم والحديث عند البخاري بمعناه.

وعن عائشة قالت: **ما ضرب رسول الله خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله**، رواه مسلم.

ومن خلقه العظيم: خلقه مع من حوله حتى مع الملائكة.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ**، فق.

كذلك من خلقه العظيم: خلقه مع الأعراب ومن يجهل عليه.

فعنْ أنس قال: **كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً.**

قَالَ أَنَسٌ: **فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ.**

ثم قال: **يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ.**

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ، فق.

وعن عمرو بن العاص قال: "**كان رسول الله يُقبِلُ بوجهه على أشرّ القوم يتألفهم بذلك، فكان يُقبِلُ بوجهه وحديثه عَلَيَّ، حتى ظننت أني خير القوم**"، أخرجه الترمذي في الشمائل.

كذلك خلقه عظيمٌ مع أصحابه، فعن جرير: **ما حَجَبَني النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُنذُ أسلَمتُ، ولا رَآني إلَّا تبَسَّمَ في وجهي**، فق.

ومن خلقه: أنّه كان لا يعنف في التعليم والنصح، وكان رحيما رفيقا.

فعن أبي هريرة عن النبي قال: "**إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم، إذا ذهب أحدكم إلى الخلاء، فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستنج بيمينه**"، رواه أحمد والنسائي واللفظ له.

فالنبيّ أبٌ للمؤمنين كما أنّ أزواجه أمهاتهم.

قال ابن كثير رحمه الله: "**وقد روي عن أبيّ بن كعب، وابن عباس أنهما قرآ: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)، وروي نحو هذا عن معاوية، ومجاهد، وعكرمة، والحسن**".

وعن مالك بن الحويرث: أتيت النبيَّ في نفرٍ من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقا، فلمّا رأى شوقنا إلى أهالينا قال: "**ارجعوا فكونوا فيهم، وعلّموهم، وصلّوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن لكم أحدكم، وليؤمّكم أكبرُكم**"، فق.

ومن أخلاقه وحلمه: قصته المشهورة مع الأعرابي حين بال في المسجد جهلاً، فتلطف معه وعلمه ونهى عن أذيته.

فعن أنس: **بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ: مَهْ مَهْ.**

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: (لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ).

فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ.

قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ، متفق عليه واللفظ لمسلم.

وكذلك قصته حين تكلم معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه في الصلاة.

قال: **فبأبي هو وأُمّي، ما رَأيتُ مُعَلِّمًا قَبلَه ولا بَعدَه أحسَنَ تَعليمًا منه، فواللهِ ما كَهَرَني ولا ضَرَبَني ولا شَتَمَني، قال: (إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ مِن كَلامِ النَّاسِ، إنَّما هو التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقِراءةُ القُرآنِ)**، رواه مسلم.

ومن خلقه العظيم: خلقه مع الفقراء والمساكين.

فعن سهل بن حُنيف: **كان رسول الله يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم**، رواه الحاكم.

وعن أبي هريرة **أنّ امرأة سوداء كانت تقمّ المسجد،** أو شابا **ففقدها رسول الله فسأل عنها،** أو عنه.

فقالوا: **مات،** قال: **أفلا كنتم آذنتموني.**

قال: **فكأنهم صغّروا أمرها،** أو أمره.

فقال: **دلوني على قبره.**

فدلوه فصلى عليها.

ثم قال: **إنّ هذه القبورَ مملوءةٌ ظلمةً على أهلها، وإنّ الله ينوّرها لهم بصلاتي عليهم**، فق

ومن خلقه العظيم: خلقه مع الأنبياء والصالحين من الأمم قبلنا، فقد كان يحبّهم ويوقّرهم ويجلّهم ويذكرهم بخير.

فعن عبد الله قال: **قسَم النبيُّ قَسْماً، فقال رجلٌ: إنّ هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله.**

فأخبرت النبي فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، وقال: "يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"، متفق عليه.

وقال النبي: "**يرحمُ الله موسى، لوَدِدنا لو صبر حتى يُقَصّ علينا من أمرهما**"، يعني مع الخضر، متفق عليه، من حديث ابن عباس عن أبيّ بن كعب.

وقال: "**يرحمُ الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته**"، متفق عليه عن أبي هريرة.

وقال: "**يرحمُ الله أمّ إسماعيل، لولا أنّها عجِلت لكان زمزمُ عيْناً معينا**"، ابن عباس، البخاري.

وقال: "**لا تُخيّروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشقّ عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى**"، رواه البخاري ومسلم بنحوه عن أبي سعيد.

ومن خلقه العظيم: خلقه مع أمّته برحمته لهم وحرصه عليهم وشوقه للقائهم.

فقد قال صلى الله عليه وسلم: "**وددتُ أني لقيتُ إخواني**".

فقال أصحابُه: أوليسَ نحنُ إخوانَك؟

قال: "**أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنُوا بي ولم يَرَوْني**"، أنس، رواه أحمد بهذا اللفظ.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنّ النبي تلا قول الله في إبراهيم: {**رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني**}، الآية وقال عيسى: {**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**}.

فرفع يديه وقال: "**اللهم أمّتي أمّتي**"، وبكى.

فقال الله: (**يا جبريل اذهب إلى محمد**-وربك أعلم-**فسله ما يبكيك؟**).

فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله بما قال-وهو أعلم-، فقال الله: (**يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**)، رواه مسلم.

ومن خلقه العظيم: خلقه مع ربّه، ومن ذلك أنه كان أعظم الناس اجتهاداً في العبادة وتبليغ دينه.

حتى تتفطر قدماه فيقول: **"أفلا أكون عبدا شكورا"**.

فعن عائشة قالت: **كان رسول الله إذا صلّى قام حتى تفَطَّرَ رجلاه.**

قالت عائشة: **يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟**

فقال: **"يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكورا"**، متفق عليه واللفظ لمسلم.

ومن خلقه مع ربه وتواضعه أنه اختار الآخرة ولم يرد شيئا من الدنيا.

قال النبي: **"لست من الدنيا وليست مني إني بعثت والساعة نستبق"**، صححه الألباني في صحيح الجامع 5080.

وعن سعيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ: **يَا عَائِشَةُ، لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ، إِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا).**

قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ، قَالَ: فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا.

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا، يَقُولُ: (آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ)، رواه أبو يعلى الموصلي وحسنه الهيثمي.

وقال النبيّ: **"آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ"**، رواه عبد الرزاق.

وعن أبي سعيد الخدري: أنّ رسول الله جلس على المنبر فقال: **"إنّ عبدا خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده"**.

فبكى أبو بكر وقال: (فديناك بآبائنا وأمهاتنا). فعجبنا له.

ثم قال أبو سعيد: **فكان رسول الله هو المخيَّر، وكان أبو بكر هو أعلمنا به.**

وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله يقول عند وفاته: "**اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**"، رواه الترمذي وأصله في البخاري.

وعند ابن أبي شيبة قالت: "**فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه**".

فمات بأبي هو وأمي وقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، ولم تصب الأمة بمثل مصابها بفقده.

كما قال حسّان رضي الله عنه:

وما فقد الماضون مثل محمدٍ ولا مثلُه حتى القيامة يُفقدُ

ففقدُه عظيم أليم، ولذا فقد مهّد للصحابة فراقه، لعلمه بأثر ذلك في القلوب.

وهذا من خلقه ورأفته وشفقته صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما مرّ في الحديث حين خطب على المنبر صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما قاله لمعاذ يودّعه في ذهابه لليمن: "**يا معاذ إنك عسى أنْ لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري**".

فبكى معاذٌ جشعًا لفراقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينةِ، فقال: "**إن أولى الناسِ بي المتقون، من كانوا؛ وحيثُ كانوا**"، رواه أحمد وغيره.

وقال لهم في حجة الوداع: "**خذوا عني مناسككم؛ لعلّي لا أراكم بعد عامي هذا**"، رواه الترمذي والبيهقي.

وقال لفاطمة ابنته: "**إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أُراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك**".

رواه أحمد بهذا اللفظ والحديث في الصحيحين.

فبكت رضي الله عنها.

ومع هذا التمهيد فإنّ ألم الفقد عظيم.

قال أنس: "**لما كان اليوم الذي قدم فيه رسولُ الله المدينةَ؛ أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه؛ أظلم منها كل شيء**".

وقال: "**ما نفضنا عن رسول الله الأيدي حتى أنكرنا قلوبَنا**"، رواه أحمد.

وكانت عائشة رضي الله عنها تنشد قول لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقِيتُ في خلف كجلد الأجربِ

هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم، فقده وموته مصيبة حلت على هذه الأمة.

أكمل الرجال، عظيم في خُلقه، جميلٌ في خَلقه.

أكمل الناس خَلقا، أجملُ الناس وأبهاهم من بعيد.

وأحلاهم وأحسنهم من قريب، عظيمٌ حلو المنطق.

فضْلٌ، لا نزرٌ ولا هذر، صلى الله عليه وسلم.

قال البراء بن عازب: "**كان رسول الله أحسَنَ الناس وجهاً، وأحسنَهم خَلْقا، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير**"، متفق عليه واللفظ لمسلم.

وقال: "**كان رسول الله رجلاً مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجُمّة إلى شحمة أذنيه**"، رواه مسلم.

صلى الله عليه وسلم إذا صمت؛ علاه الوقار، وإن تكلم؛ علاه البهاء.

أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب.

لو رأيته رأيت الشمس طالعة.

قال جابر بن سمرة: "**رأيت رسول الله في ليلة إضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله وإلى القمر وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر**"، رواه الترمذي.

وقال عن وجهه: "**كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً**"، مسلم.

وقال: "**وكان كثير شعر اللحية**"، مسلم.

وقال كعب: "**كان رسول الله إذا سُرّ؛ استنار وجهه؛ حتى كأنه قطعة قمر**"، البخاري.

صلى الله عليه وسلم.

أوذي، وجاهد، وصبر؛ كي يصل هذا الدين لكم.

{**ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون**}.

كُسِرَتْ يومَ أحدٍ بَيْضَةُ النبيّ على رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم.

وأُدْمِيَ وجهُه، وكُسرت رباعِيَتُه.

أخرجوه من بيته، ومن بلده؛ لأنّه يبلّغ رسالة الله عز وجل.

حتى تصل لكم.

{**إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا**}

هذا النبي الكريم يصلّي عليه، ويدعو له، ويثني ويعطف عليه؛ ما في السماوات وما في الأرض.

{**إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما**}.

اللهم ارزقنا رفقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.

واجعلنا ممن اقتدى بالنبي فتمّت أخلاقه.

كما قال صلى الله عليه وسلم: "**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**"، رواه أحمد والبزار واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حتى نكون مِن رفقائه فقد قال: "**إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا**"، رواه الترمذي عن جابر.

قلت في مدحه بأبي هو وأمي:

ألا يا بني الإسلام هبّوا لنصره فنصرته فرضٌ على كلِّ قادرِ

وما النصرُ إلا باتّبـــاع كلامهِ محجّته البيضاءُ غيظٌ لكافرِ

ألا تنصروهُ وهو قد ظلّ ماشياً ويطلبهُ الأعداء من كلِّ ضامرِ

فبلّغ ديـــن الله لم يخْـش لائماً وقاسى لأجل الله كلّ المرائرِ

"وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً" للحرائرِ

وأزْهَرَ تلقـــاه بشوشاً لصحْـبهِ رحيـماً حنوناً جابراً للخواطرِ

عفيفاً جميلاً وجهُهُ البدرُ بالدُّجى مهـــاباً عظيماً مُؤنِساً للنواظرِ

شجاعاً ومقداماً تراه إذا حَمَـتْ لظى الحربِ يلقاها بإقدامِ كابرِ

...

إلى آخر بيت في القصيدة:

ويا أيّها الشُّعّار قوموا لنصره فإنّ له حقّـــاً على كلّ شاعِرِ

صلى الله عليه وسلم

اللهم اجعلنا من رفقائه في الجنّة ووالدينا وأزواجنا وذرارينا

تم بفضل الله الجمعة 29 ربيع الأول عام 1448

في الكويت أعزها الله بالتوحيد والسنة.

وصلّ اللهم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربّ العالمين